تجليات التوظيف القرآني في آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: دراسة تحليلية

Manifestations of Quranic Employment in the Works of Sheikh Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahimi: An Analytical Study

عمر شهيناس[1]*، حاج سرير خيرة[2]

[1] جامعة أحمد بن بلة – وهران1 (الجزائر)، amel17189@gmail.com

[2] جامعة أحمد بن بلة – وهران1 (الجزائر)، Serirhadj6@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/09/23 تاريخ القبول: 2026/04/19

ملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة التوظيف القرآني في آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وتوضح أن هذا التوظيف لم يكن مجرد زخرفة أسلوبية، بل كان استراتيجية أساسية في مشروعه الإصلاحي الشامل. فقد وظّف الإبراهيمي القرآن الكريم كمرجعية أساسية لمقاومة الجمود الفكري والاستعمار، والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، والنهوض بالتعليم والإصلاح. وترصد الدراسة الآليات المتنوعة لهذا التوظيف، من الاقتباس المباشر، واستلهام المعاني والصيغ، وتوظيف المفردة والرمز القرآني، إلى تبني الأسلوب الحجاجي القرآني. وتخلص الدراسة إلى أن هذا الارتباط العميق بالنص القرآني هو ما منح خطاب الإبراهيمي قوته الإقناعية وعمقه الفكري وجماله البياني، وجعل من التوظيف القرآني أداة نهضوية متكاملة.

كلمات مفتاحية: التوظيف القرآني، البشير الإبراهيمي، الإصلاح.

Abstract:

This study examines the phenomenon of Quranic employment in the works of Sheikh Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahimi, demonstrating that this employment was not merely a stylistic embellishment but a fundamental strategy within his comprehensive reformist project. Al-Ibrahimi utilized the Holy Quran as a primary reference to resist intellectual stagnation and colonialism, to defend the Arab-Islamic identity, and to advance education and reform. The research analyzes the diverse mechanisms of this

employment, from direct quotation, inspiration of meanings and styles, and the use of Quranic vocabulary and symbols, to the adoption of its argumentative methods. The study concludes that this deep connection to the Quranic text is what endowed Al-Ibrahimi's discourse with its persuasive power, intellectual depth, and rhetorical beauty, making Quranic employment an integrated tool for revival.

Keywords: Quranic Employment, Al-Bashir Al-Ibrahimi, Reform.

***عمر شهيناس**

1. مقدمة:

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965م) مكانة سامقة في تاريخ الجزائر الحديث، بوصفه علمًا من أعلام الفكر الإسلامي، وقائدًا من قادة الحركة الإصلاحية، ورفيق درب الإمام عبد الحميد بن باديس، ونائبه ثم خليفته في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

لقد تميز الإبراهيمي بعلمه الواسع، وفقهه العميق، وتبحره في علوم اللغة العربية وآدابها، وسخّر قلمه وفكره لخدمة وطنه، والدفاع عن هويته العربية الإسلامية في مواجهة استعمار شرس سعى إلى طمسها ، وتُعد آثاره الفكرية والأدبية، التي جمعها نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في خمسة مجلدات قيمة، بالإضافة إلى ما نشر في "عيون البصائر" وغيرها من الكتابات المتفرقة في الأدب والتاريخ وسير المفكرين ، سجلاً حافلاً لجهاده الفكري والإصلاحي، ومصدرًا ثريًا لفهم مشروعه النهضوي.

إن دراسة كيفية توظيف الشيخ الإبراهيمي للقرآن الكريم في هذه الآثار تكتسب أهمية بالغة، فهي لا تكشف فقط عن جانب من جوانب عبقريته البيانية وقدرته الفذة على استلهام النص القرآني في مختلف السياقات ، بل تضيء أيضًا على عمق مشروعه الإصلاحي الذي اتخذ من القرآن الكريم مرجعية أساسية ومنطلقًا في مجالات التربية والتعليم، ومقاومة الاستعمار، والحفاظ على مقومات الهوية الوطنية، فالقرآن الكريم لم يكن بالنسبة للإبراهيمي مجرد نص يُتلى للبركة أو يُستشهد به عرضًا، بل كان نبراسًا يضيء له دروب الإصلاح، ومنهج حياة متكاملًا للأمة.

تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولة تحليل وتوصيف منهجية الشيخ البشير الإبراهيمي في توظيف النص القرآني من خلال آثاره المكتوبة، ويهدف إلى تحديد آليات هذا التوظيف، سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة، لفظية أم معنوية، رمزية أم بلاغية.

كما يسعى إلى رصد السياقات المتنوعة التي برز فيها هذا التوظيف، كفاحه ضد الاستعمار، ومعالجته لقضايا المجتمع، وجهوده في التعليم، ودفاعه عن اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، وفوق ذلك يهدف إلى الكشف عن الغايات التي سعى الإبراهيمي لتحقيقها من خلال هذا التوظيف، والأبعاد الجمالية والفكرية التي أضفاها على كتاباته.

إن المتأمل في مسيرة الإبراهيمي الإصلاحية يدرك بوضوح أن التوظيف القرآني لم يكن مجرد سمة أسلوبية أو زخرفة لغوية في كتاباته، بل كان جزءًا لا يتجزأ من استراتيجيته الشاملة للنهوض بالأمة. فكل جانب من جوانب مشروعه، سواء كان تعليميًا أم سياسيًا أم اجتماعيًا، كان يستمد شرعيته وقوته الدافعة من المرجعية القرآنية.

هذا الارتباط العضوي بين النص القرآني والفعل الإصلاحي هو ما منح خطابه تلك القوة الإقناعية والسلطة الروحية العميقة التي أثرت في وجدان الشعب الجزائري وعقله، فإيمان الإبراهيمي الراسخ بأن القرآن الكريم هو البلسم الشافي لأدواء الأمة، والمنهاج القويم لحياتها، دفعه إلى أن يجعله المنطلق والغاية في كل مساعيه.

وفي سياق التحدي الاستعماري الذي واجهته الجزائر، والذي استهدف بالدرجة الأولى هويتها العربية الإسلامية من خلال محاربة لغتها ودينها ، برز التوظيف القرآني عند الإبراهيمي كآلية مركزية للدفاع والصمود، لقد شكل القرآن الكريم، بلغته العربية الفصحى ومضامينه العقدية والتشريعية، حصنًا منيعًا تصدى من خلاله الإبراهيمي لمحاولات الطمس والفرنسة، فاللغة العربية لغة القرآن والدين الإسلامي دين القرآن، وكانا في نظره ركيزتي الهوية التي لا يمكن التفريط فيهما، وهكذا قدم القرآن للإبراهيمي السلاح الفكري والروحي لمواجهة هذا العدوان الثقافي، وتعزيز الوعي الوطني والديني لدى الجزائريين، وتزويدهم بالحجج والمفاهيم لمقاومة الاستعمار فكريًا وثقافيًا.

2. الإطار المفاهيمي للتوظيف القرآني

1.2 تعريف "التوظيف" لغةً واصطلاحًا

يحمل مصطلح "التوظيف" في طياته دلالات متعددة تتضح من خلال استقراء معاجم اللغة والاصطلاحات العلمية، ففي **اللغة**، يُشتق الفعل "وظّف" من الجذر (و ظ ف)، ويأتي بمعنى الإلزام والتحديد، ففي اللسان العربي جاء بمعنى وَظَّفَ عليه العملَ تَوْظِيفاً أَي وقَّته، ونقول وَظَّفَ الشيءَ على نفسه توظيفًا: أَلزمها إِيَّاهُ"[1]، ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأن التوظيف لغةً يحمل معاني الإلزام، والتعيين، والتحديد، والحفظ، والمتابعة، والملازمة.

أما في **الاصطلاح العام**، فيشير التوظيف إلى الأسلوب أو الطريقة التي يعتمدها المبدع، سواء كان أديبًا أو خطيبًا، في بناء نصه. فهو يستدعي عناصر معينة، سواء كانت أفكارًا أو صورًا أو نصوصًا أخرى، ويدمجها في عمله لتحقيق غاية محددة، كبناء فكرة، أو إيصال رسالة، أو تقوية حجة[2].

وعندما نتحدث عن **"التوظيف القرآني" اصطلاحًا**، فإننا نعني به تلك العملية التي يقوم من خلالها الكاتب أو المتحدث باستدعاء آيات القرآن الكريم، أو معانيها، أو أساليبها البيانية، أو حتى روحها العامة، ودمجها في سياق خطابه الخاص للتعبير عن مراد معين، أو نقل معانٍ محددة إلى المتلقي[3]، ولا يقتصر هذا التوظيف على مجرد النقل الحرفي للآيات، بل يتسع ليشمل استخدام النص القرآني كمصدر للإلهام الفكري والأدبي، وكحجة دامغة ودليل قاطع في المناقشات، وكأداة فعالة للتأثير الوجداني والإقناع العقلي. إنه بمثابة استحضار للسلطة المرجعية للنص القرآني في سياق جديد، بهدف إضفاء القوة والعمق على الخطاب.

---

[1] « (دراسة) توظيف الآيات القرآنية في الرسائل النبوية », ***DergiPark***, بدون تاريخ، : ***https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/3488703***.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

2.2 العلاقة بين التوظيف القرآني والمصطلحات البلاغية ذات الصلة

يتداخل مفهوم التوظيف القرآني مع عدد من المصطلحات البلاغية والنقدية التي عنيت بدراسة حضور النصوص الأخرى في النص الأدبي، ومن أبرز هذه المصطلحات:

- **الاقتباس:** يُعرّف الاقتباس بأنه "تضمين المتكلم كلامه – شعرًا كان أو نثرًا – شيئًا من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو الحديث"[4]، وقد يحدث في الاقتباس تغيير يسير في اللفظ المقتبس، أو قد يُنقل عن معناه الأصلي الذي ورد به في القرآن إلى معنى مجازي يخدم السياق الجديد[5]، وقد قسم السيوطي الاقتباس إلى ثلاثة أقسام: مقبول (في الخطب والمواعظ)، ومباح (في الغزل والرسائل والقصص)، ومردود (كاقتباس ما نسبه الله إلى نفسه ونسبته إلى المقتبِس، أو تضمين آية في معنى هزل أو مجون).
- **التضمين:** يرى بعض البلاغيين أن التضمين هو "أن يودع الشاعر قصيدته بيتًا أو أكثر أو شطرًا ليس له"، أو "أن يضمّن الشعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء[6]، ويميل بعضهم إلى تخصيص التضمين بالشعر المأخوذ من شعر آخر، بينما يُخص الاقتباس بما أُخذ من القرآن والحديث[7].

---

[4] « الاقتباس من القرآن في الشعر: رؤى فقهية », إسلام أون لاين (*IslamOnline.net*), *https://islamonline.net/archive*/الاقتباس-من-القرآن-في-الشعر-رؤى-فقهية/.

[5] المرجع نفسه.

[6] « الاقتباس والتضمين في شروح المقامات (شرح الواسطي لمقامات الحريري) », أوراق ثقافية (*awraqthaqafya.com*).

[7] « التناص.. في البلاغة العربية والنقد الحداثي », مجلة الرافد (*arrafid.ae*: *https://arrafid.ae/Article-m=5U3QQE93T%2F0%3D&Preview?I=nWMyXq6rHxM%3D*.

- **الاستشهاد:** هو أن يدعم الأديب نصه بآيات من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف مع الإشارة الصريحة إلى ذلك المصدر، وقد يكون الاستشهاد مباشرًا بذكر الآية كاملة أو جزء منها، أو ضمنيًا بالإشارة إلى معناها دون ذكر اللفظ[8].
- **التناص:** وهو مصطلح نقدي حديث أوسع دلالة من المصطلحات السابقة، إذ يشمل كل أشكال تداخل النصوص وتفاعلها. ويعتبر التناص الاقتباس والتضمين وغيرهما من آلياته التي تُظهر حضور نص (النص الغائب) في نص آخر (النص الحاضر)[9]، وقد عمد الإبراهيمي، كما تشير الدراسات، إلى التناص مع القرآن الكريم بشكل واضح في كتاباته[10].

إن المتأمل في ممارسة الشيخ البشير الإبراهيمي يجد أن مفهوم "التوظيف القرآني" يبدو أكثر شمولية وقدرة على وصف طبيعة تعامله مع النص المقدس، فبينما تركز المصطلحات البلاغية التقليدية كالاقتباس والتضمين على جانب إيراد النص أو جزء منه، فإن ما قام به الإبراهيمي يتجاوز ذلك إلى استلهام الأسلوب القرآني، والرموز، والمفردات، والبنية الحجاجية، وروح النص العامة، فالتوظيف كما عُرّف سابقًا بأنه أسلوب أو طريقة يعتمد عليها الأديب أو الخطيب في بناء نصه، فيوظف المبدع في نصه ما يبني عليه فكرته أو يؤدي رسالته ويقوي حجته، فيصف بدقة أكبر هذا التعامل المتعدد الأوجه والمدمج بعمق في نسيج فكره وأسلوبه.

---

[8] » الاستشهاد بالقرآن الكريم في كلام الإمام زين العابدين (عليه السلام) – الصحيفة السجادية
https://imamhussain.org/arabic/23283

[9] » فاعلية التناص مع القرآن الكريم في آثار البشير الإبراهيمي – نماذج مختارة
https://asjp.cerist.dz/en/article/227240.

[10] فاعلية التناص مع القرآن الكريم في آثار البشير الإبراهيمي – نماذج مختارة ASJP (Cerist) disponible sur : https://asjp.cerist.dz/en/article/227240.

إن هدف الإبراهيمي لم يكن مجرد التزيين البلاغي العابر، بل كان بناء خطاب إصلاحي متكامل يستمد قوته وحجته من القرآن على كافة المستويات، وهو ما استدعى "توظيفًا" شاملًا يتجاوز حدود الإيراد النصي الحرفي.

3.2. أنواع التوظيف القرآني

يمكن تصنيف التوظيف القرآني، بناءً على طبيعة الاستدعاء ومستوى التفاعل مع النص الأصلي، إلى عدة أنواع رئيسية:

- **توظيف اللفظ والمعنى معًا:** وهو أرقى درجات التوظيف، حيث يستدعي الكاتب النص القرآني بلفظه ومعناه الأصليين، ويدمجه في سياق خطابه ليعزز فكرته أو يقوي حجته[11].
- **توظيف المعنى دون اللفظ:** وفيه يستلهم الكاتب معنى آية قرآنية أو مجموعة آيات، ويعبر عنه بلغته وأسلوبه الخاص دون أن يلتزم بألفاظ القرآن نصًا[12]، وهذا النوع يتطلب فهمًا عميقًا لمقاصد القرآن وقدرة على إعادة صياغة المعاني القرآنية بما يتناسب مع السياق الجديد.
- **التوظيف المباشر (الصريح):** ويتمثل في الإشارة الواضحة والصريحة إلى أن النص المأخوذ أو المعنى المستلهم هو من القرآن الكريم، كأن يقول الكاتب: "كما قال تعالى..." أو "وفي هذا يقول القرآن..."[13].
- **التوظيف غير المباشر (الضمني):** وهو دمج النص القرآني أو معناه أو حتى إيقاعه وأسلوبه في سياق كلام الكاتب دون تصريح مباشر بأنه من القرآن، بحيث يبدو النص المقتبس جزءًا

---

[11] » (دراسة) توظيف الآيات القرآنية في الرسائل النبوية ,*DergiPark*،
https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/3488703.

[12] المرجع نفسه.

[13] المرجع نفسه.

من نسيج كلام الكاتب، لا يشعر القارئ العادي بانفصاله أو غرابته، وهذا النوع يكشف عن مدى تمثل الكاتب لروح القرآن ولغته.

إن السياق الذي يرد فيه التوظيف القرآني يلعب دورًا حاسمًا في تحديد مشروعيته وأثره. فكما أشار السيوطي إلى أن الاقتباس قد يكون مقبولًا أو مباحًا أو مردودًا بناءً على سياقه وغايته' وكما أكدت بعض الهيئات الإسلامية على عدم جواز الاقتباس في سياقات تصادم العقيدة أو الشريعة أو تحمل طابع الاستخفاف أو الهزل ، فإن كتابات الشيخ الإبراهيمي تندرج ضمن السياقات المقبولة بل والمستحسنة.

لقد كان توظيفه للقرآن يهدف دائمًا إلى تعزيز القيم الدينية والأخلاقية السامية، والدفاع عن الحق، ومقاومة الباطل، وإصلاح شؤون الأمة[14]، إن هذا السياق الإصلاحي والجهادي الذي ميز كتاباته هو ما يبرر ويكثف من أهمية توظيفه للنص المقدس، ويجعله استراتيجية دعوية وفكرية واعية وموجهة نحو تحقيق أهداف نبيلة. فطبيعة التحديات التي واجهها الإبراهيمي، من استعمار غاشم وجهل متفشٍ وبدع دخيلة، جعلت من الضروري اللجوء إلى القرآن كأداة قوية ومؤثرة في هذه السياقات الجادة، مما يعزز من قيمة دراسة هذا التوظيف ليس كظاهرة أدبية فحسب، بل كاستراتيجية نهضوية متكاملة.

3. آليات ومظاهر التوظيف القرآني في آثار البشير الإبراهيمي

إنَّ آثار الإمام الإبراهيمي، التي جمعها نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في خمسة أجزاء، بالإضافة إلى ما خطَّهُ يراعه في "عيون البصائر" وغيرها من الكتابات، هي كَنزٌ عظيم يُفصح عن عمق فهمه للقرآن الكريم، وقدرته الفائقة على استلهام مقاصده وتوظيف آياته البينات في معالجة قضايا عصره الشائكة. وهذه الدراسة، التي تحاكي في طَرْحِها ومنهجها أسلوب الأزهر الشريف في التحليل والتفسير، تهدف إلى الكشف عن الأبعاد العميقة لهذا التوظيف القرآني، وبيان كيفية استنطاق الإبراهيمي للآية القرآنية لتُضيء دروب الإصلاح، وتُوجِّه الأمة نحو قمة الكمال:

---

[14] البشير الإبراهيمي رمز من رموز الإصلاح والتجديد في ذكرى وفاته ***IUMS (International Union of Muslim)***,: ***https://www.iumsonline.org/ar/ContentDetails.aspx?ID=29209***.

1.3 القرآن كقوة دافعة للإصلاح الفكري ومقاومة الجمود

لقد رأى الإبراهيمي أنَّ الجمود الفكري والتقليد الأعمى هما أكبر عائقين أمام نهضة الأمة، لذلك وظَّفَ القرآنَ الكريم سلاحًا فكريًا لتحرير العقول وتجديد الفكر وفتح باب الاجتهاد وهذا نلحظه في الآتي:

- **القرآن دعوةٌ للتدبر لا التبعية العمياء**

لقد تصدَّى الإبراهيمي، بكلِّ قُوَّةٍ وثبات، لِمَدِّ التقليد الذي خيَّمَ على عقول كثيرٍ من المسلمين، وحالَ دونَ فهمهم لمقاصد الدين، وقد رأى في القرآن دعوةً صريحةً إلى التفكير والتدبر، لا إلى التبعية العمياء.

- **الاستشهاد** :في مقاله "الإسلام والمسلمون"[15]، حيث يعرض الإبراهيمي لمظاهر الانحراف الفكري في الأمة، ويُرجعها إلى التقليد الأعمى.
- **الآية القرآنية (المستلهمة)** :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: 170).
- **الشرح والتحليل** :يُجلي الإمام الإبراهيمي هنا مَكمَن الخطر في التَّبعية العمياء لميراث الآباء والأجداد، حتى وإن كانت تلك الموروثات مُعارِضةً لِمَحْضِ الحقِّ ومقاصد الوحي. يُشير الإبراهيمي إلى أنَّ هذه الآية الكريمة ليست مجردَ زجرٍ عن تقليدِ الجاهلية، بل هي تأسيسٌ لِمنهجٍ عَقْلانيٍّ تَتَسِمُ به الرؤيةُ الإسلامية للعالم، حيثُ يُعلي القرآنُ من شأنِ العقلِ البشريِّ ويحثُّه على التَّدبُّرِ والتَّفكيرِ في آياتِ اللهِ الكونيةِ والشرعيةِ. إنَّ توظيفه لهذه الآية يُبرزُ رؤيتهُ المنهجيةَ التي تَتَّسِمُ بِالتَّأصيلِ من جهةٍ، وبِالتَّجديدِ من جهةٍ أخرى، فكلُّ ما يُعارضُ العقلَ السَّليمَ والوحيَ الصَّريحَ يُنبَذُ، حتى وإن كان من عاداتِ السلفِ. هذا المنهجُ هو ما يُؤهِّلُ الأمةَ لِلتَّقدُّمِ والازدهارِ، ويُمكِّنُها من التَّمييزِ بينَ الحقِّ والباطلِ، ويُحرِّرُها من أسرِ الخُرافةِ والجمودِ.

---

[15] ينظر: الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص107-111.

- **السياق** :في سياق محاربته للبدع والخرافات المتفشية في المجتمع، وتصحيح العقائد.
- **الغرض** :نقد التقليد الأعمى، والدعوة إلى الرجوع إلى القرآن والسنة بفهمٍ وتدبر.
- **نوع التوظيف** :توظيف معنوي، مع تحليل استنتاجي.

– **القرآن أساس الاجتهاد وفتح باب العلم**

شدَّد الإبراهيمي على أنَّ القرآن الكريم يدعو إلى الاجتهاد والبحث، ورفضَ الرأي القائلَ بأنَّ باب الاجتهاد قد أُغْلِقَ. وقد رأى في ذلك تضييقًا على رحابة الإسلام، وحرمانًا للأمة من مصادر النور والتقدم.

- **الاستشهاد** :في مقالاته التي تدعو إلى التجديد، خاصة في سياق حديثه عن الحركة الإصلاحية في الجزائر[16].
- **الآية القرآنية (المستلهمة)** :﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: 43).
- **الشرح والتحليل** :يُبرز الإبراهيمي من خلال هذه الآية الشريفة أصلاً عظيمًا من أصول الفقه الإسلامي، وهو وجوبُ الرجوعِ إلى أهلِ العلمِ والاختصاصِ عندَ الجهلِ. لكنَّهُ لا يكتفي بِالمعنى الظاهرِ للآية، بل يُوظِّفها لِلتَّأكيدِ على ضرورةِ الاجتهادِ والتَّفكرِ، وفتحِ بابِ العلمِ. هو يرى أنَّ الآيةَ تدعو إلى البحثِ عن المعرفةِ وتوسيعِ المداركِ العقليةِ، وعدمِ الاكتفاءِ بِما ورثناهُ من جهلٍ. إنَّ الإبراهيمي يُحوِّلُ المفهومَ الفقهيَّ العامَّ إلى إطارٍ واسعٍ يُشجِّعُ على التَّساؤلِ والبحثِ الدائمِ في كلِّ ميادينِ الحياةِ، مُقترِنًا بِطلبِ الهدايةِ من اللهِ. هذا التوظيفُ يكشفُ عن عمقِ رؤيتِهِ في جعلِ القرآنِ منارةً لِلتَّجديدِ الفكريِّ والعلميِّ، لا مُجردَ نصوصٍ جامدةٍ تُحفظُ.
- **السياق** :في سياق هجومه على الجمود الفكري والدعوة إلى التجديد في الفقه الإسلامي.

---

[16] **ينظر: الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص109–111.**

- **الغرض** :ترسيخ مبدأ الاجتهاد وربطه بالنهضة العلمية والفكرية.
- **نوع التوظيف** :توظيف معنوي، مع تحليل استنتاجي.

2.3 القرآن كقوةٍ دافعةٍ في مواجهة الاستعمار والدفاع عن الهوية

لم يكن الإبراهيمي يرى في الاستعمار مجرد احتلالٍ للأرض، بل كان احتلالاً للوعي والهوية. لذلك، وظَّفَ القرآنَ سلاحًا فكريًا وروحانيًا لِلتَّصدي لِمخططات المستعمر الرامية إلى طمس الهوية العربية الإسلامية في الجزائر.

- **القرآن مصدر قوةٍ وصمودٍ في وجه الظلم**

لقد استلهم الإبراهيمي من القرآن الكريم آياتٍ تزرع في النفوس روحَ الصمودِ والثباتِ في مواجهة المحن، وتُحوِّل اليأس إلى أمل، والخوف إلى شجاعة.

- **الاستشهاد** :في خطاباته وبياناته المناهضة للاستعمار الفرنسي، خاصة بعد أحداث 8 ماي 1945.
- **الآية القرآنية (المستلهمة)** :﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (سورة الحديد: 25).
- **الشرح والتحليل** :يُوسِّعُ الإبراهيمي دلالةَ هذه الآيةِ لتتجاوزَ المعنى الفقهيَّ الضيقَ إلى مفهومٍ شموليٍّ يُبرزُ أبعادَ الرسالةِ النبويةِ في إرساءِ العدلِ الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ. هو يرى أنَّ إرسالَ الرسلِ بِالكتابِ والميزانِ ليسَ مُقتصرًا على إقامةِ العباداتِ فقط، بل يمتدُّ ليشملَ إقامةَ القسطِ في كلِّ جوانبِ الحياةِ، ومنها مُحاربةُ الاستعمارِ الذي يُعَدُّ قمةَ الظلمِ والجَوْرِ. إنَّ توظيفه لهذه الآيةِ يُعَدُّ تأسيسًا شرعيًا لِلمقاومةِ المسلحةِ، ويُعطيها بُعدًا دينيًا يُحفِّزُ النفوسَ ويُقوِّي العزائمَ في وجهِ المستعمرِ.
- **السياق** :في خطاباته وبياناته المناهضة للاستعمار الفرنسي، خاصة بعد أحداث 8 ماي 1945.

- **الغرض** :تبرير مشروعية مقاومة الاستعمار على أساس ديني، وبعث روح الصمود في النفوس.
- **نوع التوظيف** :توظيف معنوي، مع إشارة ضمنية إلى الآية، وتحليل استنتاجي.

– **القرآن حارس اللغة العربية والهوية الإسلامية**

لقد رأى الإبراهيمي أنَّ اللغة العربية والدين الإسلامي هما قِوامُ الهويةِ الجزائريةِ الأصيلةِ، وأنَّ الاستعمارَ يَستهدفُهما لِلسَّيطرةِ الكليةِ على الأمةِ. لذلك، كان القرآنُ لديهِ ليس مجردَ كتابٍ دينيٍّ، بل هو حارسٌ لِلُغةِ العربيةِ، ومَعقِدُ الهويةِ.

- **الاستشهاد** :في سياق دفاعه عن اللغة العربية في مواجهة سياسة الفرنسة التي اتبعها الاستعمار.

الآية القرآنية (المستلهمة) :﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف: 2).

- **الشرح والتحليل** :يُعمِّقُ الإبراهيمي فهمَ هذه الآيةِ الكريمةِ لِيُبرزَ العلاقةَ الوثيقةَ بينَ اللغةِ العربيةِ والتعقُّلِ (أي: الفهمِ). هو لا يراها مجردَ إشارةٍ لِخاصيةِ القرآنِ اللغويةِ، بل يُوظِّفها لِلتَّأكيدِ على أنَّ اللغةَ العربيةَ هي لغةُ الفهمِ والإدراكِ والتعقُّلِ، وبالتالي هي لغةُ الحكمةِ والعلمِ. إنَّ المستعمرَ يسعى لِتجفيفِ منابعِ العربيةِ لأنهُ يُدركُ أنَّها مِفتاحُ الوعيِ ومُقاوَمةِ الجهلِ والتَّبعيةِ. هذا التوظيفُ ليسَ مجردَ دعوةٍ للحفاظِ على اللغةِ، بل هو دعوةٌ للدفاعِ عن الهويةِ بِمجملِها، ويُظهِرُ رؤيةَ الإبراهيمي الشاملةَ لِربطِ اللغةِ بالوجودِ الثقافيِّ والحضاريِّ.
- **السياق** :في سياق دفاعه عن اللغة العربية في مواجهة سياسة الفرنسة التي اتبعها الاستعمار.
- **الغرض** :تأكيد أهمية اللغة العربية كجزء لا يتجزأ من الهوية الإسلامية، وربطها بالقرآن الكريم.

نوع التوظيف :توظيف معنوي ورمزي، مع تحليل حضاري.

4. نماذج من آليات التوظيف القرآني عند البشير الإبراهيمي

الآلية	المثال من آثار الإبراهيمي	الآية/السورة القرآنية ذات الصلة	تحليل موجز لدلالة التوظيف في السياق
الاقتباس المباشر	"الاستعمار كلّه رجس من عمل الشّيطان"	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾) المائدة: 90	وسم الاستعمار بالنجاسة والعمل الشيطاني لنزع الشرعية عنه وتحفيز مقاومته.
الاقتباس المباشر	الرد على تدخل الاستعمار في العبادات بقوله إنهم يريدون أن تكون الصلاة والنسك "للاستعمار" بدلاً من "لله رب العالمين".	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: 162	فضح محاولة المستعمر الهيمنة على الجانب الروحي للشعب، وتأكيد أن العبادة لله وحده.
استلهام المعنى والصيغة	"يا هؤلاء! إن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا"	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاطر: 6	تأكيد عداوة الاستعمار وضرورة اتخاذه عدوًا، بربطه بالعدو الأزلي للإنسان (الشيطان).
استلهام المعنى والصيغة	..."وإنّكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول فأخرجوهم من الصفوف"	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ محمد: 30	التحذير من المنافقين والدساسين داخل الصف الوطني، واستلهام علامات كشفهم من القرآن.
توظيف	تكرار استخدام مفردات مثل	آيات متعددة	ترسيخ المفاهيم القرآنية

المفردة القرآنية	"الحق"، "الباطل"، "الهدى"، "الضلال" في سياقات إصلاحية.		الأساسية كمعايير لتقييم الواقع والدعوة إلى الإصلاح.
توظيف الرمز القرآني	الإشارة إلى تحطيم الأصنام بقوله: "رغنا عليها ضربًا باليمين" في سياق تحطيم أدوات الاستعمار	﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ الصافات: 93	تشبيه أدوات الاستعمار بالأصنام، واستدعاء رمزية التوحيد ومقاومة الشرك والباطل.
الأسلوب الحجاجي القرآني	"يا حضرة الاستعمار! إننا إذا حاكمناك إلى الحق غلبناك، وإذا حاكمتنا إلى القوة غلبتنا، ولكننا قوم ندين بأن العاقبة للحق، لا للقوة"	﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف: 128، القصص: 83 وغيرها من الآيات التي تؤكد انتصار الحق.	محاججة الاستعمار بمنطق قرآني يؤكد على حتمية انتصار الحق على القوة الغاشمة.

4. خاتمة:

لقد كشفت هذه الدراسة عن عمق وأبعاد التوظيف القرآني في آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وأظهرت أنه لم يكن مجرد استشهاد عابر أو تزيين لفظي، بل كان إستراتيجية فكرية ومنهجية ، شكلت جوهر مشروعه الإصلاحي وركيزة أساسية في بناء خطابه البياني، ومن أبرز النتائج التي يمكن الخلوص إليها:

- **تنوع آليات التوظيف:** استخدم الإبراهيمي آليات متنوعة في توظيفه للقرآن، شملت الاقتباس المباشر للآيات، واستلهام المعاني والصيغ القرآنية، وتوظيف المفردة القرآنية بدلالاتها

العميقة، واستدعاء القصص والرموز القرآنية، بالإضافة إلى تبني الأساليب البلاغية والحجاجية المستمدة من البيان القرآني.

- **التكامل مع المشروع الإصلاحي:** ارتبط التوظيف القرآني عند الإبراهيمي ارتباطًا عضويًا بأهدافه الإصلاحية الشاملة، فكان أداة فعالة في مقاومة الاستعمار وتأكيد الهوية الجزائرية، وفي معالجة آفات المجتمع كالجهل والبدع، وفي مجال التربية والتعليم وبناء الأجيال، وفي الدفاع عن اللغة العربية ومكانتها، وفي ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- **الأبعاد الجمالية والفكرية:** لم يقتصر أثر التوظيف القرآني على الجانب العملي، بل امتد ليشمل الأبعاد الجمالية والفكرية. فقد أثرى الإعجاز البياني للقرآن أسلوب الإبراهيمي النثري ومنحه قوة وجمالاً، كما استمد من القرآن قوة إقناعية وحجاجية هائلة، وعكس توظيفه للقرآن فهمًا عميقًا لمقاصد الشريعة ورؤية حضارية شاملة.